وصُنْ ماءَ وجْهك عن بَذْلِهِ فإنَّ الصِّيانة للوَجه[1] عِزُّ

وقال: [من السريع]

لمَّا بدا لي شَرُّ هذا الورى وكنتُ مِن خَيْرِهُمُ آيسا
لزمتُ بيتي راحةً منهُمُ وصرتُ بالوحدةِ مُسْتأنسا

ومَرِضَ، فكتب إليه صاحِبٌ له أبياتاً، فكتب [في][2] جوابها: [من الوافر]

أَتَتْني منْكَ أبياتٌ حِسانٌ هي الدُّرُّ الثَّمينُ بغير شَكِّ
فكانتْ لا عَدِمتُك بُرْءَ جِسمي من البَلْوى فقد زال التَّشكِّي[3]

وقال في ذمِّ إنسان: [من مخلَّع البسيط]

جميعُ أقوالِهِ دعاوِي وكلُّ أفعالِهِ مَساوي
ما زال في فنِّهِ غريباً ليس له في الورى مُساوي[4]

السنة الحادية والخمسون وخمس مئة

في المحرَّم خَلَعَ الخليفةُ على سليمان شاه خِلْعة السَّلْطنة: التَّاج والطَّوق ومركب الذَّهب، واستحلفه أَنَّ العراق يكون للخليفة ولا يكون لسليمان شاه إلا ما يَفْتح بسيفه من غير العراق، وخُطِبَ له على المنابر بعد سنجر، وبَعَثَ إليه بالمال، وقوَّاه بالرِّجال، وخرج إلى النّهروان سَلْخ المحرم، وبَعَثَ إلى الخليفة يقول: ما أرحل حتى أراك فيقوَى قلبي. فخرج الخليفةُ بعساكره من بغداد وهو بين يديه بمرحلة إلى حُلْوان، وبعث معه العسكر، وعاد.

وفي ربيع الآخر أُطلق ابنُ الوزير من قلعة تكريت، فأقام في الأسر ثلاث سنين وأربعة أشهر.

وجاءت الأخبار بأنَّ ملك شاه ابن أخي سليمان شاه قد انضاف إليه، واتصلوا بإيلدكز، واتَّفقوا، وبلغ محمد شاه، فسار إليهم، وضرب معهم مصافًّا، فانهزموا بين يديه، وتشتَّتَ

(١) في(م) و (ش): للمرء، والبيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٩٠ .
(٢) ما بين حاصرتين من (م)، وفي (ش): له.
(٣) البيتان في «الخريدة»: ٢/ ١٩٣ .
(٤) البيتان في «الخريدة»: ٢٠/ ١٩٤-١٩٥ .

العسكر، ووصل بغداد من عسكر الخليفة خمسون فارساً بعد أن كانوا ثلاثة آلاف، ولم يُقْتل منهم أحد، وإنَّما أُخذت خيولهم وأموالهم، وجاؤوا حُفاة عُراةً، وانفصل سليمان شاه عن إيلدكز، وعاد إلى بغداد على طريق الموصل، وكان عاجزاً عن حُسْنِ التَّدبير، فهان على أصحابِ الأطراف، وكان زين الدِّين كُوجك في المَوْصل، فخرج إليه، وقَبَضَ عليه، وأطلعه إلى القلعة، وبعث إلى محمد شاه يقول: تعال تَسَلَّمه، وإنْ أردتَ أَنْ تقصد بغداد ساعدتُك. فسار يريد بغداد، ونزل بعقوبا، وبعث إلى كوجك، فتأَخَّر عنه، وانزعج أهلُ بغداد، وعَرَضَ الخليفةُ عساكره، وعصى عليه أرغش صاحب البَصرة، وبدر بن المُظَفَّر صاحب البطيحة، وبعث إلى كُوجك يأمره بإطلاق سليمان شاه، فلم يُطْلقه، وأقام محبوساً في المَوْصِل، ثم أُطلق بعد ذلك. وأما السُّلْطان محمد فلما تأخَّر عنه زين الدين خاف أن تكون عليه حِيْلة، فرجع من بَعْقُوبا إلى هَمَذَان.

وفيها خَلَصَ سنجر من أَسْرِ الغُزِّ بحِيَل، وهَرَبَ إلى قلعة تِرْمذِ بعد أن أقام عندهم أربع سنين في الذُّلِّ والهوان حتى ضرب به أهلُ بغداد الأمثال، فكان إذا مَرَّ على إنسانٍ شدائد، قالوا: ما اشتفى الغُزُّ من سنجر، وقيل: إنه وعد الموكلين به بالمال العظيم، فأجابوه، ووفى لهم.

وحَجَّ بالنَّاسِ من العراق قيماز، ومن الشَّام نجم الدِّين أيوب.

فصل وفيها توفي

عبد القاهر بن عبد الله[1]

ابن الحسين. أبو الفرج، الوأواء الشَّاعر.

أصله من بُزاعة[2]، ونشأ بحلب، وتأدَّب بها، وشرح "ديوان المتنبي"، ومَدَحَ جماعةً من أهل الشَّام، ومن شعره: [من الطويل]

---

(١) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»: مج٤٣/ ٦٨-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٥٥-١٥٧، و«إنباه الرواة»: ٢٠/ ١٨٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ٥٢-٥٣، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٢-٣٢٣، و«بغية الوعاة»: ٢/ ١٠٦، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٨.

(٢) بزاعة بضم الباء وكسرها، ومنهم من يقول: بزاعا: من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب. انظر «معجم البلدان»: ١/ ٤٠٩.

أبى زَمَني أن[١] تستقرَّ بي الدَّارُ ... وأَقْسَمَ لا تُقضى[٢] لنفسي أوطارُ
أخِلَّايَ كيف العَدْلُ والدَّهْرُ حاكمٌ ... وكيف دُنُوِي والمُقدَّر أَقدارُ
وما غِبْتُمُ عن ناظرِي فيراكُمُ ... ولم ينسكُمْ قلبي فَيحدُثَ تَذْكارُ
لئنْ عِفْتُمُ نَصرِي إذا حَلَّ حادثٌ ... فلي من دُموعي في الحوادثِ أنْصارُ
وإن غَرَبَتْ شمسُ النَّهارِ فمنكُمُ ... شموسٌ بقلبي لا تَغِيبُ وأقمارُ
وبي فَرَقٌ بادٍ إذا ما تفرَّقوا ... ولي مَدْمَعٌ جار إذا ما هُمُ جاروا
عناني من الأسرار ما لم أَبُحْ به ... فصرتُ كفِعلٍ ظاهرٍ فيه إضمارُ
وكنتُ كغصنٍ باتَ يُمْنَعُ رِيَّه ... وقد رَويتْ حَولي من الماءِ أشجارُ[٣][٤]

عبد السَّيِّد بن جَكَر الواسطي[٥]

دخل على شمس الدين فاتن، ناظر واسط وقد غُمَّ الهلال، فأنشد: [من المتقارب]

أما في البَرِيَّةِ من يَنْتَبِهْ ... يهنِّي بك العيدَ لا أنتَ بِهْ
وإنْ وقعتْ شُبهةٌ في الهِلالِ ... فأنتَ على العَينِ لا تَشْتَبِه[٦]

عليُّ بنُ الحسين الغَزْنَوي الواعظ[٧]

ويلقب بالبُرْهان، قدم بغداد سنة ستَّ عشرة، وسمع الحديث، ووعظ، وكان فصيحاً، وله جاهٌ عريض، وكان السُّلْطان مسعود يزوره، وأَمرت خاتون زوجةُ

(١) في (ع) و (ح): لا، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٢) (ع) و (ح): لا أقضي، والمثبت من «تاريخ ابن عساكر» و«الخريدة».

(٣) الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: مج٤٣/ ٦٩-٧٠، و«خريدة القصر» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٥٦-١٥٧ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) عقب هذه الترجمة في (ح): وفيها قصدت الفرنج بقاع بعلبك.. قلت: وهذا الخبر من حوادث سنة (٥٤٦هـ).

(٥) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج٤/ ح١/ ٣٥٨-٣٦٠، و«الوافي بالوفيات» ١٨/ ٤٤٢-٤٤٣، وذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٧/ ٢٢٤، وسماه عبد السلام.

(٦) البيتان في «الخريدة».

(٧) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٦-١٦٨، و«الكامل»: ١١/ ٢١٦-٢١٧، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٢٤-٣٢٥، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٢٩-٣٠، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٣-٣٢٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٩، وانظر «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج ١/ ٢٨٢.

المُستظهر أن يُبْنى له رباطٌ، ووقفتْ عليه قريةً اشترتها من المُسْترشد، واستعبد خَلْقاً كثيراً من العلماء والفقراء بجاهه وماله.

وقال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: كان محفوظه قليلاً، فيكرِّرُ ما يقول، [وحدثني جماعة من القراء أنَّه كان يعيِّنُ لهم ما يقرؤون بين يديه، ويتحفَّظ الكلام عليه][(١)]. وسمِعْتُه يقول على المنبر: الحكمة في معراج النَّبيِّ ﷺ أنَّه أُري ما في الجَنَّة والنَّار ليكون يوم القيامة على سكون لا على انزعاج، ولهذا المعنى قُلبت العصا حَيَّةً يوم التَّكليم لئلا ينزعِجَ موسى عليه السَّلام بين يدي فِرْعون.

وسمعته يُنْشد: [من مجزوء الرجز]

كم حَسْرَةٍ لي في الحشا ... من ولدٍ إذا نَشَا
وكم أردتُ رُشْدَه ... فما نَشَا كما نشا[(٢)]

وسمعته يُنْشد: [من السريع]

يَحْسُدُني قومي على صَنْعتي ... لأَنَّني في صَنْعتي فارسُ
سَهِرْتُ في ليلتي واسْتَنعسوا ... هل يستوي السَّاهِرُ والنَّاعِسُ

وكان يعظِّم السُّلْطان ولا يعظم الخليفة كما ينبغي، وسمعتُه يوماً يقول بجامع القصر: يتولى أمورنا ويغفل عنا، [وأنشد][(٣)]: [من الهزج]

فما تصنع بالسَّيْفِ ... إذا لم يكُ قتَّالا
فَغَيِّرْ حِلْيةَ السَّيفِ ... وضعْه لك خَلْخالا[(٤)]

وقال: تولي اليهود، فيسبُّون نبيك يوم السبت، وتجلسهم يوم الأحد عن يمينك، ثم صاح: اللهم هل بلغت؟ فكانت هذه الأشياء تُنْقل إلى الخليفة، فمنعه من الجلوس بجامع القَصر، فقَدِمَ السُّلْطان مسعود، فأجلسه بجامع السُّلْطان، وحضر مجلسه،

---

(١) (ع) و (ح): ويعين القراءات تقرأ، ويرتب الكلام عليها، والمثبت ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٦٦.

(٢) البيتان ساقهما سبط ابن الجوزي على أنهما من شعر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيري في ترجمته انظر حاشيتنا رقم ١ ص١٤٤.

(٣) ما بين حاصرتين من «المنتظم»: ١٠/ ١٦٧.

(٤) (ع) و (ح): وضع لك منه خلخالاً، والمثبت من «المنتظم».

فقال: يا سُلْطان العالم، محمد بن عبد الله أَمرني بالجلوس، ومحمد أبو عبد الله منعني من الجلوس. يعني المقتفي.

ولمَّا دخل العَبَّادي بغداد [وكانت سوقه انكسرت به][1]، فأنشد ابنُ الدَّهَّان: [من السريع]

لِلهِ قُطْبُ الدِّين من عالمٍ ... طَبٌّ بأَدْواء الورى آسِ

مُذ ظَهَرَتْ حُجَّتُه للورى ... قامَ بها البرهانُ للنَّاسِ[2]

فلما ماتَ مسعود أُهين الغزنوي، ومُنِعَ من الوعظ، وأُخذ كل ما كان بيده، فَشُفِعَ إلى الخليفة في رَدِّ القرية التي وقفت على رِباطه، فقال: أما ترضى أن يحقن دمه.

وكان يتمنَّى الموت مما لاقى من الذُّلِّ بعد العِزِّ، وما كان ممن يرضى بالذل، فحمل على قلبه، ومَرِضَ، فأَلْقى كَبِدَه قِطَعاً، وتوفي في المحرَّم، ودُفِنَ بمقابر الخَيْزُران.

[وفيها توفي

الشيخ ابو البيان الزَّاهد[3]

واسمه نبا بن محمد][4]، ويعرف بابنِ الحوراني، تشاغل بالزهد، و[ونشأ على][5] الاشتغال بالعلم، وصحبة الصَّالحين، وحُسْن الطريقة والعَفَاف والصِّيانة، [وكان][6] محباً للعِلْم والعلماء.

---

(١) في (ع) و (ح)، ذكر شوقه، وهو تحريف، وما بين حاصرتين من «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: ج١/ ٣١٤-٣١٥ .

(٢) قطب الدين هو العبادي، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٥٤٧هـ)، وابن الدهان هو محمد بن علي بن شعيب أبو شجاع، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٥٩٢هـ) .

ومعنى العبارة أوضحه ابن الجوزي بقوله: كان -أي الغزنوي- إذا نبغ واعظ سعى في قطع مجلسه، ولما مال الناس إلى ابن العبادي قل زبونه، فكان يبالغ في ذمه، فقام بعض أذكياء بغداد في مجلس العبادي فأنشده، ثم ذكر البيتين، ثم قال: وأراد ابن الغزنوي: قد قام للناس، لأنه كان يلقب بالبرهان، وهذا من عجيب ذكاء البغداديين.

والبيتان في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢، و«معجم الأدباء»: ١٩/ ٢١٣-٢١٤، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٣٣٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٣٢٦-٣٢٧، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) في (ع) و (ح): محمد أبو البيان الشيخ الزاهد، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٥) في (ع) و (ح): تشاغل بالزهد والاشتغال بالعلم.. وما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق.

[قال أبو يعلى ابن القلانسي: توفي في هذه السنة][1] ودفن بالباب الصَّغير عند قبور الصحابة ﷺ، وكان له يومٌ مشهود[2].

[قلت: وحكى لي بعضُ مشيخة دمشق أنَّ أبا البيان][1] دخل يوماً من باب السَّاعات إلى جامع دمشق، فنظر إلى أقوام في الحائط الشمالي يَثْلِبُون أعراضَ النَّاس، فاستقبل القِبلة، ورفع يديه، وقال: اللهم، كما أَنْسَيتهُمْ ذِكرَك، فأَنْسهِمْ ذِكري.

[3][وفيها توفي:

أبو العِزّ القُرَشي الصُّوفي[4]

ويقال له ابن أبي الدنيا، وليس في الدنيا من يقال له ابن أبي الدنيا غير أبي بكر[5]، وهذا، وهو بصري، وكان يسكن المشان[6]، وكان أبوه محتسبَ البصرة، وكان أبو العز شاعراً فاضلاً، ومن شعره]: [من الرجز]

ما بال قلبي زائداً غرامُهُ ... ودَمْعُ عيني هاطلاً غمامُهُ
وذلك الجَمْرُ الذي خَلَّفْتُمُ ... على الحشا لا ينطفي ضِرامُهُ[7]
يا ناعمينَ بالرُّقاد عِيْشةً ... عندِيَ طَرفٌ خانَهُ منامُهُ
ما أَطْيبَ اللَّيلَ الطَّويلَ والبُكا ... لولا انفجارُ الصُّبْحِ وابتسامُهُ

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) «ذيل تاريخ دمشق»: ٥١٢.

(٣) في (ع) و (ح): أبو العز بن أبي الدنيا القرشي الصوفي البصري، وكان أبوه محتسب البصرة، وكان أبو العز شاعراً، من شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٤) هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن المظفر بن أبي الدنيا القرشي الصوفي. له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج٢/ج٤/ ٧٥٧-٧٥٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٣٢٤ - وقد أخطأ إذ جعل الشاعر أباه - وورد ذكره في «إنباه الرواة»: ٢/ ٢٤٣ في ترجمة علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي: وفيه أبو المعز.

(٥) هو المحدث المشهور صاحب التصانيف السائرة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، البغدادي المؤدب، المتوفى سنة (٢٨١هـ)، انظر ترجمته في «تاريخ بغداد»: ١٠/ ٨٩-٩١، و«سير أعلام النبلاء»: ١٣/ ٣٩٧-٤٠٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٦) المشان بلدة قريبة من البصرة وهي وخمة، كان إذا سخط ببغداد على أحد ينفى إليها، انظر «معجم البلدان» ٥/ ١٣١، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ٦٧.

(٧) في (م) و (ش): غرامه، وهو خطأ.

إنَّ الـكـرى بَـشَّـرنـي بـوصـلـكُـمْ نِـعْـمَ الـكـرى إنْ صَـدَقَـت أحـلامُـهُ
ولـسـتُ أدري والـذي سَـنَّ الـهـوى سِـهـامُـكُـم أَقْـتـلُ أم سـهـامُـهُ[1]

السَّنة الثانية والخمسون وخمس مئة

فيها حُوصرت بغداد، جَمَعَ محمد شاه التُّرْكمان والأكراد، وقرُبَ من بغداد، وبعث إلى الخليفة يَطلُب الخطبة والسَّلطنة، فقيل له: السُّلْطان هو سنجر وأنتم مختلفون.

وعَرَضَ الخليفة العساكر، وجاء خطلبرس من واسط، وعصى أرغش صاحب البَصرة، وأخذ واسطاً، واستعدَّ الخليفة للحصار، وجَمَعَ السُّفن إلى تحتِ التَّاج، وذلك في سادس عشرة المحرَّم، ونودي: لا يبقى في الجانب الغربي أحدٌ. فَعَبرَ النَّاسُ بأموالهم وأهلهم إلى دار الخلافة، وجاء محمد شاه، فعَبَرَ دِجلة من فوق حَربى، ونَهَبَ الدُّجَيْل وأَوَانا وغيرَها، وجاءه كوجك بعساكر المَوْصِل والجزيرة، واتَّفقا، وضرب محمد شاه خيامه بالرَّملة، وقطع الخليفة الجسر، وأخذ زواريقه إلى تحت التَّاج، وأخرج سبعة آلاف جوشن، ففَرَّقها، ولبس الناسُ السِّلاح، ونَصَبَ الخليفةُ المجانيق والعَرَّادات فكانت مئتين وسبعين منجنيقاً وعَرَّادة، في كلِّ منجنيق أربعون رجلاً، وكان يُخْرج كل يوم من الخزانة أكثر من مئة كُرّ حنطة يُطعِمُه النَّاس، وأَذِنَ للوعَّاظ في الجلوس بعد مَنعهم سنة وخمسة أشهر، فجعلوا يحرِّضون الناس على قتال البغاة والخوارج.

وفي العشرين من المحرَّم ركبت عساكر محمد شاه وكوجك، وجاؤوا إلى الرَّقَّة[2]، ووقفوا بإزاء التَّاج، ورموا بالنُّشَّاب إلى التَّاج، وركب إليهم صِبْيان بغداد في السُّفُن، ورموا بالنُّشَّاب وقاتلوهم، وضربوا أميراً منهم بالنفط فأحرقوه، وظهروا عليهم، فرجعوا.

فلما كان يوم السبت ثالث صفر، ركبوا بجمعهم، وانتشروا على دِجلة، وخرج إليهم عسكر الخليفة في السُّفن، وجاءتهم سفن من واسط فيها مِيرة وما يحتاجون إليه،

(١) الأبيات في «الخريدة» مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) الرقة هي البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد، وهي بالجانب الغربي، «معجم البلدان»: ٣/ ٦٠ .